OPEN ACCESS
Received: 22 -05 -2025
Accepted: 11- 08-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Aesthetic Significance of Quranic Verse-Endings in Surah *al-Dukhān*: A Rhetorical Study

Dr. Haya Fuhaid Saad Al-Qahtani *
Halahtani@kfu.edu.sa

Abstract

This study explores the aesthetic significance of Quranic verse-endings (*fawāṣil*) in Surah *al-Dukhān*, treating them as a dynamic structural element that shapes both semantic content and rhetorical rhythm. Using an integrative approach that combines phonetic, rhetorical, and contextual analysis, the research highlights how the *fāṣilah* functions as both an aesthetic and semantic device. After outlining the concept and importance of the verse-ending, the study examines two primary domains: the verse-endings of punishment scenes, characterized by auditory force and intensified awe, and those of mercy scenes, marked by softness and reassurance. The contrast underscores how sound and meaning interact to reinforce the thematic context. Since early Islamic scholarship, critics have recognized the unique stylistic role of Quranic verse-endings, noting that they transcend *sajʿ* and rhyme by fusing semantic depth with phonetic resonance. The findings further demonstrate that the verse-ending is deliberately constructed for rhetorical effect, employing strategies such as emphasis, explicitness, and antithesis. This study affirms that investigating Quranic verse-endings provides a significant pathway to understanding rhetorical inimitability and appreciating the enduring impact of Quranic discourse on the human soul.

Keywords: Rhetorical Inimitability, Fronting and Delaying, Phonetic Harmony, Contextual Semantics, Quranic Style.

* Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts, Al-Ahsa, King Faisal University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Qahtani, H. F. S. (2025). The Aesthetic Significance of Quranic Verse-Endings in Surah *al-Dukhān*: A Rhetorical Study, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(3): 381 -401. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2723

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/05/22م
تاريخ القبول: 2025/08/11م

جمالية الفاصلة القرآنية في سورة الدخان: دراسة بلاغية

د. هيا فهيد سعد القحطاني *
Halahtani@kfu.edu.sa

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جمالية الفاصلة القرآنية في سورة الدخان، باعتبارها عنصرًا بنيويًا فاعلًا في تشكيل الدلالة والإيقاع البلاغي. وقد سعت إلى إبراز الوظيفة الجمالية والدلالية للفاصلة عبر تحليل متكامل يجمع بين المستويات الصوتية والبلاغية والسياقية، معتمدة على منهجية تكاملية تربط بين بنية الفاصلة وسياقها الموضوعي. توزعت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، بدأ الأول بمقدمة نظرية عن مفهوم الفاصلة وأهميتها، ثم تناول الثاني فواصل العذاب، والثالث فواصل الرحمة، مبرزًا التباين الصوتي والدلالي بين المشهدين. وقد أدرك العلماء منذ القرون الأولى أثر الفواصل القرآنية، فوقفوا عندها بالتحليل والتأمل، ورأوا فيها عنصرًا أسلوبيًا متفردًا لا يشبه السجع ولا القافية، بل يتجاوزهما ليجمع بين الوظيفة الدلالية والبعد الصوتي في آنٍ واحد. وما زال البحث في هذا المجال قائمًا إلى اليوم؛ إذ يمثل بابًا واسعًا لفهم جوانب الإعجاز القرآني وإدراك سر تأثيره البالغ في النفوس. وقد بيّنت النتائج أن الفاصلة تُصاغ لمقصد بلاغي؛ ففي مشاهد العذاب تتسم بقوة الصوت وتكثيف الرهبة، وفي مشاهد النعيم تتصف بالرقة والطمأنينة. كما أظهرت الدراسة استخدام الفاصلة لأساليب بلاغية دقيقة كالتوكيد والإظهار والتضاد.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز البلاغي، التقديم والتأخير، التناسق الصوتي، الدلالة السياقية، النظم القرآني.

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب بالأحساء، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: القحطاني، هـ. ف. س. (2025). جمالية الفاصلة القرآنية في سورة الدخان: دراسة بلاغية، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(3): 381- 401. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2723

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

إن النص القرآني معجزة خالدة تتجلى فيها أنوار المعنى في حلل المبنى، حيث تتضافر الكلمة مع صوتها، والعبارة مع إيقاعها، في وحدة أسلوبية محكمة لا نظير لها. ومن أبرز مظاهر هذا النظم الفريد الفاصلة القرآنية التي تُعد الخاتمة المحكمة للآية، والجرس الصوتي المتمم لدلالتها، بما تمنحه من إيقاعٍ خاص يسهم في ترسيخ المعنى وإبراز جمال النظم.

وقد أدرك العلماء منذ القرون الأولى أثر الفواصل القرآنية، فوقفوا عندها بالتحليل والتأمل، ورأوا فيها عنصرًا أسلوبيًا متفردًا لا يشبه السجع ولا القافية، بل يتجاوزهما ليجمع بين الوظيفة الدلالية والبعد الصوتي في آنٍ واحد. وما زال البحث في هذا المجال قائمًا إلى اليوم؛ إذ يمثل بابًا واسعًا لفهم جوانب الإعجاز القرآني وإدراك سر تأثيره البالغ في النفوس.

وإذا كانت الفواصل القرآنية ظاهرة بارزة في عموم سور القرآن، فإن سورة الدخان تمثل ميدانًا خصبًا لدراسة هذه الظاهرة. وسورة الدخان سورة "مكية" كلها في قول الجمهور (ابن عاشور، د.ت: 275/10). وسميت بهذا الاسم لوقوع لفظ الدخان فيها؛ لأن "الله جعله آيةً لتخويف الكفار؛ حيث أُصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم لرسول الله، وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون ثم نجَّاهم الله ببركة دعاء النبي ﷺ" (الدرة، 2009: 8/ 657). وهي السورة الثالثة والستون في عد نزول السور، وتندرج ضمن الجزء الخامس والعشرين من المصحف الشريف، وتحمل الرقم (44) في ترتيب سور القرآن الكريم، وهي تسعٌ وخمسون آيةً عند أهل الكوفة (ابن عاشور، د.ت: 276/10)، "وعدد كلماتها: ثلاث مئة وست وأربعون" (الداني، 1994، ص 225). وسبب نزولها أن قريشًا لما استعصَوا على النبي ﷺ، دعا عليهم بسنين كَسِنِي يُوسُفَ، فأصابهم قحطٌ حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: 10]، فلما استسقى رسول الله ﷺ لِمُضَرَ، فسُقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ فلما عادوا إلى حالهم أنزل الله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (السيوطي، 2002، ص 230).

وقد تميزت سورة الدخان بإيقاع قوي يخدم مقاصدها الموضوعية، فجاءت فواصلها منسجمة مع وحدتها الكلية ومحققة غاية البيان القرآني في التأثير والإقناع. فقد جمعت هذه السورة بين موضوعات متعددة تبدأ بتمجيد القرآن وبيان نزوله، وتمر بوعيد المشركين وإشارات إلى قصة موسى وفرعون، ثم تناقش أقوال المكذبين بالبعث وتعرض صور القيامة بما تحمله من رهبة، قبل أن تختم بتسلية النبي ﷺ ووعده بالنصر. وهذا التنوع في البناء الموضوعي جعل فواصل السورة ذات طابع مميز يتناغم مع المعنى العام ويكسوه قوة وجلالًا.

وتتجلى مشكلة هذا البحث في الحاجة إلى معالجة علمية تكشف عن جماليات الفاصلة القرآنية في سورة واحدة معالجة متعمقة، من حيث بنيتها الصوتية ودورها البلاغي، مع ربطها بالسياق العام للسورة وما تحمله من مقاصد كبرى. وتأتي هذه الدراسة لتسد فراغًا في هذا الجانب، فهي تحاول استجلاء الخصائص الأسلوبية لفواصل سورة الدخان، وتبيان أثرها في تحقيق الانسجام بين الإيقاع والدلالة، بما يعزز فهمنا لوجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث؛ إذ يسعى إلى الجمع بين التحليل الصوتي والبلاغي في إطار واحد متكامل، الأمر الذي يتيح إدراكًا أعمق للعلاقة الوثيقة بين المبنى والمعنى، ويبرز دور الفاصلة القرآنية في خدمة البيان الإلهي، ويوضح كيف أسهمت في جعل النص القرآني أوقع في النفس وأبقى في الذاكرة.

الدراسات السابقة:

حظيت الفاصلة القرآنية باهتمام علمي في عدد من الدراسات التي تناولتها من زوايا متعددة؛ صوتية وبلاغية ودلالية، مما يظهر الثراء النظري والتطبيقي الذي عرفه هذا الموضوع. ويلاحظ أن معظم هذه الدراسات قد ركزت على الجانب النظري

العام للفاصلة القرآنية، أو تناولت عدة سور في إطار مقارن، مع غياب الدراسة التحليلية المعمقة لسورة واحدة بمنهج تكاملي.

ومن أبرز الدراسات التنظيرية ما قدمه عبد الفتاح لاشين في كتابه "من أسرار التعبير في القرآن: الفاصلة القرآنية": حيث أسس لمفهوم الفاصلة القرآنية، مميزًا بينها وبين السجع والقافية، ومؤكدًا بُعدها الدلالي، دون أن يقصر البحث على سور بعينها (لاشين، 1402). وقد أفادت هذه الدراسة من تحديده الوظيفي للفاصلة بوصفها أداة تتكامل فيها النغمة والمعنى، لا مجرد عنصر إيقاعي شكلي.

أما السيد خضر، فقد قدّم في كتابه "فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية دلالية"، معالجة منهجية تنطلق من الظواهر الإيقاعية للجملة العربية، وتنتهي بتحليل تطبيقي لفواصل سورتي البقرة والإسراء (خضر، 2009). وقد أمدّت هذه الدراسة البحث الحالي بتصور منهجي متدرج من الكلي إلى الجزئي، خاصة في فهم العلاقات بين الفاصلة والسياق العام، وضبط المصطلحات الإجرائية.

وفي السياق الصوتي، ركزت فائزة الموسوي في دراستها "أثر الفاصلة القرآنية في التماسك النصي الصوتي في سور الحواميم السبع"، على دور الفاصلة في تحقيق الانسجام الإيقاعي داخل السورة الواحدة والسور المتقاربة موضوعًا (الموسوي، 2016، ص 113–128)، وهو ما أفادت منه الدراسة الحالية في بناء مقاربة صوتية لفواصل سورة الدخان، قائمة على تتبع نمط الحركات، والتجانس الفونولوجي.

واتجهت بان حميد فرحان الراوي إلى استكشاف العلاقة بين الصوت والمعنى في دراستها "جمالية صوت الفاصلة القرآنية وعلاقتها بالمعنى"، وأظهرت أثر التكوين الصوتي في توجيه الدلالة (الراوي، 2017، ص 834–845)، وهو ما ساعد في تحليل الوظائف البلاغية للفاصلة حين يتعزز المعنى بشحنات نغمية تتفاوت بحسب السياق.

وقدمت دراسة محمود الغزي "جمالية الحجاج في القرآن الكريم: سور الحواميم أنموذجًا"، مدخلًا لتأمل دور الفاصلة في بناء الخطاب الإقناعي، خصوصًا من خلال آليات التوكيد والتكرار والإطناب (الغزي، 2017، ص 377–407)، وهي وظائف أفاد منها البحث الحالي في تحليل البنية الحجاجية لفواصل التهديد والتسلية في سورة الدخان.

أما أحمد بوصبع فقد عالج في "جمالية التلقي الصوتي في الخطاب القرآني: الفاصلة القرآنية أنموذجًا" أثر الفاصلة في انفعال المتلقي (بوصبع، 2021، ص 463–472)، وهو بعدٌ استثمره هذا البحث في قراءة الأثر السمعي والانفعالي للفواصل في المشاهد القيَامية والسجالية بالسورة.

وفي سياق قريب من موضوع هذه الدراسة، برزت رسالة محمد كمال ديب بعنوان "المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسور الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف"، وقد تناول فيها العلاقة بين الفواصل ومضمون الآيات من زاوية مناسبة الختام للمعنى، وقدمت دراسة تطبيقية جزئية على سورة الدخان (ديب، 2011). وقد أفادت هذه الدراسة من ذلك العمل في تحديد ملامح المناسبة السياقية، لكنها تميزت عنه بتركيزها المنهجي الحصري على سورة الدخان، وباعتمادها مقاربة مزدوجة تجمع التحليل الصوتي والتركيبي والدلالي، للكشف عن البنية الداخلية للفاصلة ودورها في تحقيق الوحدة البيانية للسورة.

ويمكن القول إن هذه الدراسات -رغم تباين مناهجها ومحاورها- قد وفّرت أرضية صلبة لفهم الفاصلة القرآنية في بعدها البلاغي والصوتي، غير أن معظمها لم يتناول سورة الدخان دراسة مستقلة معمقة، مما يُبرز فرادة هذا البحث من حيث مجاله ونطاقه. كما أن الدراسة الحالية لم تكتف بالوقوف على جماليات الفاصلة من حيث الظاهرة الصوتية أو

الشكل الإيقاعي، بل سعت إلى تحليل بنيتها ووظيفتها البلاغية في ضوء السياق الموضوعي للسورة، مع الإفادة من الأدوات المنهجية التي قدمتها تلك الأعمال، وتوظيفها في بناء رؤية تحليلية متكاملة، تُبرز كيف تسهم الفاصلة في خدمة مقاصد السورة وتثبيت أثرها في وعي المتلقي

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية جوهرية مؤداها أنّ الدراسات السابقة حول الفاصلة القرآنية -على ثرائها وتعددها- غلب عليها المنظور الجزئي؛ فبعضها اقتصر على تحليل الجوانب الصوتية والإيقاعية، وبعضها انشغل بالظواهر البلاغية والتركيبية، وأخرى اهتمت بالدلالات والسياقات، دون أن تُقدِّم رؤية تكاملية تكشف عن التفاعل الدقيق بين هذه المستويات الثلاثة في خدمة المقاصد الكبرى للنص القرآني.

ومن ثمّ ينهض هذا البحث للإجابة عن السؤال المحوري:

كيف يتجلى التكامل الوظيفي بين البنية الصوتية والخصائص التركيبية والدلالة السياقية للفاصلة القرآنية في خدمة المحاور الموضوعية الثلاثة لسورة الدخان: (إنذار المكذبين، وتصوير عذاب الآخرة، وبيان رحمة الله بالمؤمنين)؟

وتنبثق عنه تساؤلات فرعية هي:

- ما الخصائص الصوتية الغالبة على فواصل كل مقطع موضوعي، وكيف تنسجم مع طبيعة المعنى المراد؟
- ما الظواهر البلاغية والتركيبية المهيمنة في بناء الفواصل؟ وما أثرها في قوة الإيقاع وعمق الدلالة؟
- كيف تسهم الفاصلة في تحقيق الانسجام الصوتي والتماسك الدلالي والوحدة الفنية للسورة؟

تتحدد هذه الدراسة في إطارها المكاني والموضوعي والمنهجي بسورة الدخان المكية؛ إذ ينصرف جهدها إلى تحليل جماليات الفواصل القرآنية الواردة فيها، واستجلاء تنوعها وعلاقتها بسياق الآيات ومعانيها الكلية. ومن الناحية الموضوعية، يقتصر البحث على تناول الجوانب البلاغية للفاصلة القرآنية دون التوسع في القضايا الأخرى المرتبطة بعلوم القرآن أو التفسير. أما من الناحية النصية، فإن التحليل يقتصر على آيات سورة الدخان وفق رواية حفص عن عاصم، التزامًا بضبط النص القرآني المعتمد في أغلب الدراسات الأكاديمية. ومن الناحية المنهجية، تعتمد الدراسة المقاربة التكاملية التي تمزج بين المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، في محاولة للكشف عن انسجام الفاصلة مع بنية النص القرآني وإبراز أثرها في قوة البيان وعمق الدلالة.

تنبع أهمية هذه الدراسة من تقديمها مقاربة تتجاوز التجزئة المنهجية، لتكشف عن التداخل الحيوي بين مستويات الصوت والتركيب والدلالة في صياغة الأثر القرآني. وهي بذلك تعمّق فهم سورة الدخان بإبراز دور الفاصلة بوصفها عنصرًا محوريًا في بناء مشاهدها الدرامية وتوجيه رسائلها المتنوعة بين الإنذار والوعيد والترغيب.

تسعى الدراسة إلى:

1- الكشف عن الملامح الصوتية المهيمنة على فواصل كل مقطع موضوعي وانسجامها مع طبيعة المعنى.
2- تحليل الظواهر البلاغية والتركيبية في بناء الفواصل وإبراز صلتها الوثيقة بالدلالة والإيقاع.
3- إثبات العلاقة الوظيفية بين خصائص الفاصلة والمقاصد الموضوعية للسياق القرآني.
4- بيان دور الفاصلة في تحقيق الانسجام الصوتي والتماسك الدلالي والوحدة الفنية للسورة.

وتنهض الدراسة على منهج أسلوبي يتوزع على ثلاثة مستويات متضافرة:

- التحليل الصوتي-الإيقاعي: لرصد الخصائص الصوتية والجرسية وربطها بالأثر النفسي.
- التحليل البلاغي-التركيبي: لدراسة البنية التركيبية للفاصلة والظواهر البلاغية المصاحبة.

- التحليل الدلالي-السياقي: لربط النتائج بالمعنى العام والمقاصد الموضوعية.

تتوزع الدراسة على مقدمة وتمهيد نظري يعرّف بالفاصلة القرآنية ووظائفها، تعقبه ثلاثة مباحث تطبيقية:

- فواصل إنذار للمكذبين.
- فواصل عذاب الآخرة.
- فواصل رحمة الله بالمؤمنين.

وتختتم الدراسة ببيان أبرز النتائج والتوصيات. وبهذا البناء المنهجي، تأمل الدراسة أن تكون إسهامًا متواضعًا في حقل الدراسات القرآنية، وأن تقدم مقاربة تحليلية تبني على جهود السابقين، لعلها تفتح نافذة جديدة للنظر في أسرار الإعجاز الكامن في فواصل هذه السورة الكريمة.

تمهيد:

الفاصلة القرآنية المفهوم والوظيفة

الفاصلة القرآنية مَعلمٌ بارز من معالم الإعجاز البياني، ومظهر يجمع بين جمال الإيقاع، ودقة السبك، وتمام المعنى، حتى غدت علامة فارقة في نسق الآيات، ووجهًا من وجوه تفرّد القرآن عن سائر الكلام.

الفاصلة لغةً:

يدور معناها في معاجم اللغة حول معنى التمييز والفصل بين الأشياء:

- أوردها ابن فارس بقوله: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدلّ على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه(ابن فارس، 1979).
- وقال ابن منظور: الفاصلة من الفصل: بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل؛ مثل ذلك الحاجز بين الشيئين، والفصل هو القضاء بين الحق والباطل، وفصلت الشيء فانفصل؛ أي قطعته فانقطع، والفاصلة هي الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام (ابن منظور، 1414: 273/10؛ ومعلوف، 1988، ص 585).

الفاصلة اصطلاحًا:

كثرت تعريفات الفاصلة القرآنية عند القدماء والمحدَثين، وتنوّعت عباراتهم في تحديد حقيقتها؛ غير أنّها تلتقي جميعًا عند معنى جامع، يكشف عن خصوصيتها في النظم القرآني، ومكانتها في إبراز إعجازه.

- عرّفها الرماني بقوله: الفواصلُ حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطعِ توجبُ حُسنَ إفهامِ المعاني (الرماني، 1976، ص 97).
- وعرّفها أبو عمرو الداني بأنها: الكلامُ التامُّ المنفصلُ ما يُفِيدُه، والكلامُ التامُّ قد يكون رأسَ آيةٍ وكذلك الفواصلُ يكنَّ رؤوسَ آيٍ وغيرها، فكلُّ رأسِ آيةٍ فاصلةٌ (الداني، 1994، ص 126).
- وجاء عند الزركشي: الفاصلةُ كلمةٌ آخرَ الآيةِ، كقافيةِ الشعرِ وقرينةِ السجع (الزركشي، 1957، ص 50. والسيوطي، 1996: 2/ 260).

وعند المحدثين: تعددت كذلك تعريفاتهم للفاصلة القرآنية، نورد منها:

- يقول فضل عباس: يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي خُتمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة (عباس، وعباس، 2015، ص 217).
- ويعرّفها مناع القطان بقوله: الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع عند

نهاية المقطع الخطابي، وسُمِّيت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها (القطان، 2000، ص 145).

ويتضح من استقراء هذه التعريفات أنها تتكامل لتصف الفاصلة من زوايا متعددة؛ ففي حين يحدد بعضها هيئتها الشكلية بوصفها كلمة آخر الآية، يكشف بعضها الآخر عن جوهرها الوظيفي بوصفها أداة لحسن إفهام المعاني. وبهذا، لا تعود الفاصلة مجرد علامة ختامية، بل تتجلى كبؤرة يلتقي فيها تمام المبنى بكمال المعنى.

وبعد النظر في أقوال العلماء في تعريفات الفاصلة، أرى أن أنسب تعريف هو ما ذهب إليه مناع القطان بأن الفاصلة قد تكون رأس آيةٍ، وقد تكون كلمةً أو جُملةً، وقد تقعُ الآيةُ فاصلةً للمقطع الخطابي، وعلى هذا المعنى سيكون عملنا في اكتشاف الفاصلة القرآنية من خلال دراستنا لسورة الدخان في هذا البحث.

ويتأسس على هذا المفهوم للفاصلة حقيقة كبرى قررها علماء الإعجاز، وفي مقدمتهم الباقلاني، مفادها: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلَم عجز الخلق عنه.... وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه، خارجٌ عن المعهود من نظام جميع كلامهم، وبيانٌ للفَرق بين ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويمتاز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد (الباقلاني، 1991، ص 51، 52).

ويقول القاضي عياض أيضًا في السياق ذاته: أن من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آيِهِ وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم وتدلَّهَتْ دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر (القاضي عياض، 2013، ص 324).

ضوابط الفواصل وأنواعها:

لمعرفة الفواصل طريقانِ: توقيفي وقياسي (ابن عقيلة، 2006: 3/ 489؛ وروستوفدوني، د.ت، ص 5):

أمَّا التوقيفي: فهو طريقُ السماع، وهو ما نقله الرُّواة عن رسول الله ﷺ -كما جاء في حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم "كان يقطع قراءته آية آية"(الترمذي، 1975، رقم 2927) وظاهره أنه كان يقطع قراءته بالوقوف على رؤوس الآي في الفاتحة وغيرها. وأمَّا القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لمناسبٍ (الزركشي، 1957). وقد حدَّد العلماءُ طرقًا أربع؛ لمعرفة الفواصل وهي (عبدالفتاح، 1975، ص 85، 86):

أولًا: مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولًا وقصرًا؛ حيث تكون الآيات الطوال في السور الطوال، والقصار في السور القصار، مع جواز الخروج عن الأصل بالتوقيف.

ثانيًا: مشاكلة الفاصلة لما معها في السورة من حيث الحرف الأخير، أو ما قبله إذا كان قبل الآخر حرف مد، سواء كان واوًا أو ياءً أو ألفًا.

ثالثًا: الاتفاق على عدّ نظائرها في سور أخرى، ومثاله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران:49]، فقد عدَّه البصري (روستوفدوني، د.ت، ص 10)؛ حملًا على: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:105]، ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:17]، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: 23].

رابعًا: انقطاع الكلام عندها، بأن تكون نهاية السورة أو القصة، أو ختام موضوع قبل الانتقال لآخر جديد.

أنواع الفواصل القرآنية:

تتعدَّد أنواعُ الفواصل في القرآن الكريم بتعدُّد زوايا النظر إليها، حسب اختلاف المعيار المعتمد في تصنيفها، ومن أهم هذه الأنواع:

- الفاصلة بحسب الحرف الأخير في الكلمة، فالفاصلة القرآنية بالنظر إلى الحرف الأخير من الكلمة، تنقسم إلى:

أ-الفواصل المتماثلة: وتُسمَّى كذلك "الفواصل المتجانسة أو ذات المناسبة التامة، فهي التي تماثلت حروف رويّها"(الحسناوي، 2000، ص 145) مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 10-11].

وكذلك "قد تتَّفق الفاصلتانِ لا في الحرف الأخير فحسبُ، ولكن في حرفٍ قبله وأكثر، من غير أن يكون في ذلك كلفة ولا قلق، بل سلاسة ولين وجمال" (بدوي، 2005، ص 74).

ب-الفواصل المتقاربة: وتُسمَّى "ذات المناسبة غير التامة، فهي التي تقاربت حروف رويّها"(الحسناوي، 2000، ص 146، 147) مثال: تقارب الدال من الباء مخرجًا واشتراكهما في بعض الصفات؛ مثاله قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق: 24-25].

ج-الفواصل المنفردة، وهو "نوع نادر، وهذا الضرب من الفواصل لم تتماثل حروف رويّها ولم تتقاربْ، كالفاصلة التي خُتمت بها سورة الضحى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 9-11]" (الحسناوي، 2000، ص 148).

الفرق بين الفاصلة القرآنية والسجع:

الفاصلة القرآنية هي إحدى أبرز تجليات هذا النظم المتفرد؛ فهي ليست مجرد نهاية متناغمة تُضاف للآية، بل هي النتيجة الحتمية لذلك التأليف العجيب، والنقطة التي يكتمل بها ذلك البناء المحكم. وهذا التفرد في بنية الفاصلة ووظيفتها هو ما يميزها جوهريًا عن أقرب أشكال الصنعة البشرية إليها، وهو السجع (القاسم، 1999، ص 278).

يقول الرماني: فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يُدلّ بها عليها، وإنّما أُخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة، وذلك أنّه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة؛ إذ كان المعنى لا تكلّف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يُعتمد به، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة (الرماني، 1976، ص 98).

ويؤكده ويعضده الزركشي بقوله: وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسمّوها أسجاعًا.

فأما مناسبة فواصل، فلقوله تعالى: ﴿كُتِبَتْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: 3]، وأما تجنب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن الكريم أن يُستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام أحد الناس، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الأذن بها وإن صحّ المعنى، ثم فرّقوا بينهما فقالوا: السجع هو الذي يُقصد في نفسه، ثم يُحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها (الزركشي، 1957، ص 50-51).

الوظائف والخصائص الدلالية والإيقاعية والبنائية للفاصلة القرآنية:

للفاصلة القرآنية وظائف متعدّدة تتكشّف من خلال استقراء النصوص، فهي تؤدي دورًا دلاليًا وبيانيًا، وصوتيًا وإيقاعيًا، وبنائيًا يحقق التماسك النصي. فمن الناحية الدلالية، يقرر أحمد بدوي أن الفاصلة تأتي في القرآن مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءًا من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها (بدوي، 2005، ص 65).

ومن الناحية الإيقاعية، يصورها القرطبي: أن الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور. ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن؛ فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن، ويشبه المنثور بالمنظوم، وذلك إخلال بحق المقروء (القرطبي، 1964: 505/22).

أما من الناحية البنائية، فقد نقل الزركشي عن الزمخشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتمامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة. فأما أن تُهمل المعاني ويُهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال، فليس من البلاغة في قليل أو نقير. ومع ذلك يكون قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثارًا للفاصلة، لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته، وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص (الزركشي، 1957، ص 61).

وختامًا، الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار نظمه ووصفه. وأبرز ما يكون هذا التجلي في ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الآسر، الذي بزّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا بيان القرآن الكريم ونظمه ولغته.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الفواصل القرآنية المتوازية والمتوازنة والمطرفة استخدمت كثيرا في السور المكية. ولعل مرد ذلك أن الخطاب في هذه المرحلة المبكرة إنما كان لأهل مكة أهل الفصاحة واللسن، ولذا كانت هذه الفواصل البديعة إمتاعا للشعور والعاطفة، وخطابا للعقل، وإثراء وتفننا فيما لم يألفه العرب في خطابهم. فالفاصلة القرآنية مرتبطة بسياق الكلام ارتباطا محكما، بل هي مفصحة عن معان زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان (الجرَمي، 2001، ص 209؛ والقاسم، 1999).

وبذلك، يتضح أن الفاصلة القرآنية مظهر بياني وإيقاعي وبنائي مُحكم، ولتجلية خصائصها ووظائفها بصورة عملية نتجه إلى دراسة سورة الدخان بوصفها نموذجًا تطبيقيًا كاشفًا.

المبحث الأول: فواصل إنذار المكذبين

إنَّ الخطاب القرآني في سورة الدخان يستهلّ مسيرته بتقرير حقيقة راسخة: حقيقة الوحي الذي نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، ليكون نذارةً توقظ القلوب الغافلة، وبيانًا يقطع حجج المكذّبين. وفي مواجهة قومٍ استحكم فيهم الشك حتى صار سجيةً، واتخذوا من اللهو ستارًا يفرّون به من مواجهة الحق، جاء الإنذار القرآني بجرسٍ مهيب ووقعٍ صارم، يطرق السمع طرْقًا لا فكاك منه.

هذا المحور من السورة يبني الحُجّة بالقسم، ويفضح الحال بالوصف الدقيق، ويضرب المثل بفرعون وجنده إذ أُهلكوا بالغرق، لتكتمل الرحلة الصوتية والدلالية التي تنقل المتلقي من جلال الوحي إلى حتمية العقاب، وتغدو الفاصلة القرآنية هي البؤرة التي تتكثّف فيها قوة الإنذار ويُختتم عندها الإيقاع المرهوب (ابن عاشور، د.ت: 275/10، 276).

- **النذارة في مستهل السورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3]**

تقوم الفاصلة على نسيجٍ صوتيّ محكم، تتآزر فيه أصوات الميم والنون والذال والراء والياء مع النون الختامية، لتوليد جرس قوي يوازي خطورة مقام الإنذار. وغلبة الأصوات المجهورة (م، ن، ذ، ر، ن) تمنحها صلابة سمعية وحضورًا واضحًا، فيما يضاعف تكرار رنين النون والراء مع امتداد المد الداخلي من وقعها الموسيقي، فتغدو الفاصلة ذاتها صوتًا ينطق

بالتحذير الإلهي (المبارك، 1975، ص 261). ثم جاءت على وفق مقتضى الحال؛ إذ اقتصر النص على صفة الإنذار مع أنّ القرآن جامع بين التبشير والإنذار، غير أنّ طبيعة المخاطَبين يومئذ -وهم أهل شك وإعراض- اقتضت تغليب جانب التخويف والوعيد، فجاءت الفاصلة مهيبة صارمة. وزيد المعنى توكيدًا بحذف مفعول "منذرين"، لتكون دلالته عامة مطلقة، تنذر كل من يبلغه الخطاب بلا استثناء، فيكتسب التهديد سعة وشمولًا (الزركشي، 1957: 118/3؛ وابن عاشور، د.ت: 275/10، 2076).

كذلك تكشف الفاصلة عن المقصد الأعلى من إنزال القرآن في الليلة المباركة، وهو إقامة الحجة بالإنذار العام للخلق؛ فالإنذار سنة ربانية جارية، تتكرر بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ليقوم العدل، وتتم المحاسبة بعد البيان، فيتجلى القرآن وعيدًا رادعًا، ورحمةً سابقة لمن وُفّق إلى الذكرى، واستجاب لدعوته.

- **الإنذار كمشهد مروّع ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: 10]**

ينتقل الخطاب هنا من الإنذار المجرد في قوله ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ إلى تصوير المشهد الموعود تصويرًا حيًا، فيجعله محسوسًا للأذن والعين معًا: دخان يغشى الناس ويملأ الأفق. وقد شُيّد إيقاع الفاصلة على المقطع الممدود (-ين) الذي سبقتها به ﴿مُنذِرِينَ﴾، ليحفظ الانسجام الموسيقي داخل السورة ويجعل السمع مهيأ لتكرار الجرس المهيب. ثم يبرز صوت الباء في ﴿مُّبِينٖ﴾ بانفجاره المفاجئ وقوته المجهورة، فيحاكي طبيعة البيان القاطع وظهور العذاب ظهورًا لا يلتبس، ويزيد المد بالياء بطئًا في الإيقاع يثقل وقعه على النفس ويطيل زمن التلقي، ليترسخ التهديد عميقًا في الوجدان.

أما الأمر الإلهي ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ فقد عُلِّق على وصفهم السابق ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾، ليكشف أن مكابرتهم واستغراقهم في اللهو لم يورثهم إلا وعيدًا محتومًا. وجاء الوصف ﴿مُّبِينٖ﴾ ليقطع كل تأويل، قال ابن كثير: "أَيْ بَيِّنٍ وَاضِحٍ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ" (ابن كثير، 1999: 249/7). فالعذاب لا لبس فيه ولا مهرب منه. وهكذا ارتسمت الفاصلة بؤرة السورة ومحورها، فإذا كانت الأولى قد قررت حقيقة الإنذار، فإن فاصلة الدخان تجسّد صورته القصوى مشهدًا مروّعًا يطوّق المكذبين، ويجعل الوعيد أوقع في النفس وأشد حضورًا في المخيلة.

- **الإنذار بالبطشة الكبرى ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: 16]**

في هذا الموضع تبلغ نبرة الوعيد ذروتها؛ إذ يجمع النص بين صورة البطش الكوني وبين التصريح بالانتقام الإلهي صراحةً لا مواربة فيها. فجملة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ جاءت اسمية مؤكدة بـ "إنَّ"، لتدل على ثبوت هذا الوصف واستمراره، لا باعتباره حادثة طارئة، بل سنة ربانية ماضية، "صفة ثابتة لم نزل نفعلها بأعدائنا؛ لنسر أضدادهم من أوليائنا" (البقاعي، د.ت: 18/18).

فهي إذن قاعدة إلهية مطّردة: أن الانتقام من المكذبين ملازم للعدل الإلهي ومرتبط بتمكين أوليائه. وكذلك تتجلى رهبة الفاصلة في قوة بنيتها؛ إذ تنتهي بالنون، وهي من حروف الغنة ذات الرنين المستقر في الأنف، مما يترك صدى طويلًا بعد انقضاء النطق، فيرسخ في السمع والنفس معًا. ويُعزّز ذلك تكرار المقطع الصوتي الذي سبق في فواصل مثل ﴿مُنذِرِينَ﴾ و﴿مُبِينٖ﴾، فخلق انسجامًا إيقاعيًا داخليًا يربط بين أطوار الوعيد في السورة: من التقرير إلى التصوير إلى إعلان الانتقام.

كما أن صوت القاف في "منتقمون" - وهو من الأصوات الشديدة المجهورة - يضرب السمع بقوة، ليوازي معنى البطش والعقاب. وهكذا تمثل هذه الفاصلة ذروة وسطى في مسار الوعيد: فهي ليست ختامًا، بل إعلانًا حاسمًا بأن وراء الإنذار فعلًا إلهيًا ماضيًا بحتمه، قاطعًا بجذور الباطل من أساسها. وبذلك يغدو هذا الوعيد جسرًا يمهد للانتقال إلى صور العذاب الأخروي المفصّلة في مقاطع السورة التالية: الزقوم، الحميم، والجحيم.

- **الإنذار بقصة فرعون كمرآة لمصير المكذبين ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[الدخان: 17]**

ينتقل الخطاب القرآني هنا إلى الحجاج التاريخي، فيسوق قصة فرعون وقومه مثلًا لحال المشركين مع النبي ﷺ، ويجعل ما حل بهم إنذارًا بما سيحل بهؤلاء إن استمروا على تكذيبهم. وقد جاءت جملة ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ عطفًا مفصلًا على مجمل ﴿فَتَنَّا﴾: "إِذِ المَذْكُورُ فِيهِ أَكْثَرُ مِن مَعْنَى الفِتْنَةِ"(ابن عاشور، د.ت: 295/25)، فهو تفصيل لبعثة موسى عليه السلام بكل ما حملته من دعوة وحجة. وتتجلى بلاغة الإنذار في البنية الصوتية للكلمات المختارة. فالفعل ﴿فَتَنَّا﴾ بدأ بصوت الفاء المهموس الذي يوحي بالخَفاء والدقة، ثم التاء الشديدة التي تظهر قسوة الامتحان، ويختم بغنة النون الممتدة التي تترك للفتنة صدى مترددًا طويل الأثر.

أما الفاصلة ﴿كَرِيمٌ﴾ فتجسد نبل الرسالة في جرسها؛ إذ يقرع السمع صوت الكاف الشديد المهموس، ثم تجري الراء المجهورة برخاوتها، وتأتي الياء بالمد المديد فتمنح الكلمة امتدادًا إيقاعيًا بطيئًا يزيدها مهابةً وجلالًا، ليوافق المعنى شرف الرسول الموصوف به. فإن اختيار الظرف ﴿قَبْلَهُمْ﴾ هو إيجاز بليغ يُؤْذِنُ بِجُمْلَةٍ مَحْذُوفَةٍ، تقديرها: إنّا فاتنوكم فقد فتنّا من قبلكم" (الخطيب القزويني، د.ت: 1/ 293). هذا الربط الزمني ليس عرضيًا، بل هو تأسيس لقاعدة تاريخية حتمية: أن سنة الله في ابتلاء المكذبين وإهلاكهم ماضية لا تتخلف.

ووصف الرسول بأنه ﴿كَرِيمٌ﴾، أي "النَّفِيسُ الفائِقُ فِي صِنْفِهِ" (ابن عاشور، د.ت: 295/25)، يزيد من فداحة جريمة قوم فرعون؛ وبهذا، تغدو قصة فرعون في سياق السورة شاهدًا تاريخيًا يصدّق الوعد بالبطشة الكبرى، ويرسم للمكذبين في مكة صورة مصيرهم المرتقب إن استمروا في غيّهم.

- **الإنذار بالموعد المحتوم، يوم الفصل ميقات الأولين والآخرين: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**

تجيء هذه الآية بمنزلة النتيجة من الاستدلال على ما قبلها من تقرير وإنذار، ولذلك لم تُعطف على غيرها، بل وردت كخاتمة قاطعة: إعلامًا بأن يوم القضاء هو أجل الجزاء، ووعيدًا لهم بحتمية العقاب. وجاءت الجملة مؤكَّدة بـ ﴿إِنَّ﴾ ردًّا على إنكارهم للبعث، في حين حُذِف متعلق الميقات لدلالة السياق عليه، أي: ميقات جزائهم، وأُضيف إلى ضميرهم ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ تخصيصًا للوعيد وإشعارًا بأنهم المعنيون أولًا به.

أما التوكيد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فجاء للتنصيص على الإحاطة والشمول، فلا استثناء ولا مهرب، بل هو موعد يشملهم كافة، "تقويةً في الوعيد وتأييسًا من الاستثناء"(ابن عاشور، د.ت: 312/25). والفاصلة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تتماشى مع نسق الفواصل السابقة ﴿مُنذِرِينَ﴾، ﴿مُبِينٍ﴾، ﴿مُنتَقِمُونَ﴾، مما يخلق انسجامًا موسيقيًا داخليًا يوحّد حلقات الإنذار. غير أن ثقل صوت الجيم وانفجار العين في "أجمعين" يضيف رهبة جديدة، ثم يمتد الإيقاع بالمد الطويل والياء، لتغدو الكلمة أشبه بجرس ثقيل يرسّخ حتمية الوعيد في الأذن والنفس معًا. وكذلك يوم الفصل هو "يوم الحكم" الذي يُفصل فيه بين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين. والتعبير بـ"ميقاتهم" يوحي بأن الموعد مضروب بدقة لا يتقدّم ولا يتأخر، فيغلق أمامهم كل منفذ للأمل في النجاة. وهكذا تتوج هذه الآية مشاهد الإنذار السابقة: من التقرير ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، إلى التصوير ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، إلى الإعلان الحاسم ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، إلى العبرة التاريخية بقصة فرعون، حتى تبلغ الذروة هنا في الوعد بالموعد الشامل المحتوم(العلويّ، 1423: 117/2. والجويني، 1971، ص 152؛ أبو علي، 1984، ص 15).

وهكذا جاءت فواصل الإنذار في سورة الدخان سلاسلَ مترابطة، تُنذر وتُصوّر وتُهدِّد وتُؤيّد، حتى خُتمت بالوعيد في يوم الفصل؛ فغدت نذرًا متتابعة تطرق السمع طرقًا مهيبًا، وتغلق كل باب للجدال أو الفرار. إنها آيات لا تُتلى فحسب، بل تقرع القلوب قرعًا، لتكون شاهدةً على أن الوعيد حقٌّ لا محيد عنه، وأنه لا نجاة إلا برحمة الله واتباع رسوله. وهنا ينفتح

الطريق للمبحث الثاني؛ إذ ينتقل الخطاب من التهديد والإنذار إلى عرض مشاهد العذاب الأخروي تفصيلًا.

المبحث الثاني: فواصل عذاب الآخرة

بعد أن أقام الخطاب القرآني الحجة بالإنذار، وضرب المثل بمصير الغابرين، ينتقل الآن من التهديد المجمل إلى التفصيل المصوَّر. في هذا المبحث، يتحول الوعيد إلى حقيقة مادية ملموسة: شجرة الزقوم، وغليان الحميم، والبطش المهين. والفاصلة القرآنية في هذا السياق تجسّد الألم، وتكثّف الرعب، وتترجم الحسرة، فتغدو كل فاصلة بمنزلة جرعة من العذاب تُصبُّ في سمع المتلقي وقلبه، لتنقل إليه صورة حيّة لما كان به يمتري.

- **العذاب كطعامٍ حسيّ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: 43-44]**

تبدأ مشاهد العذاب الأخروي بتحديد هوية الطعام المُعدّ للكافرين، في بناء لغوي يتضافر فيه الصوت والتركيب والدلالة لإنتاج أقصى درجات الرهبة والإنذار. فعلى المستوى الصوتي-الإيقاعي، يتسم المشهد بجرسٍ عام ثقيل ومهيب؛ فكلمة ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾ بما فيها من صوت الزاي، وهو من حروف الصفير، وصوت القاف المشددة، وهو حرف شديد مجهور، تخلق وقعًا عنيفًا في السمع. ثم تتوج الآية بالفاصلة المحورية ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ التي تكثّف هذا الأثر؛ إذ تبدأ بصوت الهمزة، وهو صوت انفجاري شديد، يُحدث بداية قاطعة، يتلوه صوت الثاء المهموس الرخو الذي يوحي بالضعف والهوان، ثم يأتي المد بالياء ليبطئ الإيقاع ويطيل زمن الكلمة، فيجعل السامع أكثر انغماسًا في ثِقَل معناها؛ إذ تحولت حروف المد واللين من إيناس السمع إلى إطالة أمد المعاناة.. وتُختتم الكلمة بصوت الميم الشفوي الذي يتميز بصفة الغنة، فيترك رنينًا ممتدًا في الأذن كأنه يغلق على "الأثيم" مصيره بشكل نهائي.

وينتقل هذا الإحكام الصوتي إلى المستوى البلاغي-التركيبي، حيث افتُتح المشهد بأداة التوكيد إنَّ لتقرير حقيقة هذا العذاب في نفوس المنكرين، وجاء التركيب كجملة اسمية شَجَرَتَ اسم إن، وطَعَامُ خبرها لإفادة الثبوت والدوام، أي أن هذا الطعام هو مصيرهم الثابت الذي لا يتغير. وقد عدل النظم القرآني عن الإخبار بأنهم "يأكلون" (كما في الواقعة) إلى الإخبار عن الشجرة نفسها بأنها طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ، وذلك للاهتمام بالإعلام بحال هذه الشجرة المرعبة وزيادة التهويل (الآلوسي، 1994: 119/13).

وفي اختيار الفاصلة ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ تتجلى أسرار بلاغية متعددة؛ فهي صيغة مبالغة تربط بين فظاعة الطعام وشدة الإثم، وهي كذلك أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، حيث لم يقل "طعامهم"، بل صرّح بصفة "الأثيم" للإيماء إلى أن إثمهم بالشرك هو السبب المباشر لهذا العقاب. أما على المستوى الدلالي-السياقي، فإن هذه الآيات تأتي كبداية للمشهد التفصيلي للعذاب الأخروي، خدمةً للمقصد العام للسورة وهو إنذار مكذبي البعث بعذاب الله.

فالدلالة هنا هي أن العقاب من جنس العمل؛ فالأثيم الذي ملأ حياته بالآثام، يكون جزاؤه طعامًا خبيثًا يملأ بطنه في الآخرة، وبهذا تؤدي الفاصلة وظيفتها الدلالية في إبراز معنى التهديد والتهويل بأقصى درجاته.

- **العذاب كغليان داخلي ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 45-46]**

بعد أن حدّد النص هوية الطعام في الآيات السابقة، ينتقل هنا إلى تصوير أثره الداخلي المدمِّر، فيرسم صورة حسية يتجلى فيها الإعجاز الصوتي أبهى تجلٍّ؛ إذ تتضافر الأصوات لتجسيد المعنى حتى تغدو هي نفسها جزءًا من العذاب الموصوف، في ظاهرة تُعرف بمصاقبة الألفاظ للمعاني. فالجرس العام للآيتين عنيف قاسٍ، يقترب من المحاكاة الصوتية لعملية الغليان والاحتراق الداخلي، ويتكثف الأثر خاصة في ألفاظ يَغْلِي وكَغَلْيِ وفاصلة ﴿ٱلْحَمِيمِ﴾. ففي الأولى يبرز صوت الغين المجهور الحلقي وصوت الحاء المهموس الحلقي، واجتماعهما يحاكي صوت الغرغرة والفوران في جوف يشتعل. أما الفاصلة ﴿ٱلْحَمِيمِ﴾

فتُختتم بمدّ الياء الذي لا يُحدث هنا راحة للسامع كما هو شأن حروف المد واللين عادةً، بل يُمدِّد زمن الإحساس بالألم ويُبقي المتلقي مدة أطول داخل مشهد الغليان، فيضاعف وقع المشهد على النفس.

اعتمد النظم على التشبيه أداةً محورية، لكن على نحو مركّب ومتداخل؛ فالمشبَّه واحد (عصارة شجرة الزقوم) والمشبَّه به متعدّد؛ إذ شُبّهت تارةً بالمُهل لما فيه من غِلظ وسواد ونتن، وتارةً بالحميم لما فيه من فوران وحرارة، فاجتمع التشبيهان في صورة مركّبة تُسهى تداخل التشبيهين، وكأن المهل نفسه قد شُبّه غليانه بغلي الحميم. بهذا التداخل انتقل العذاب من كونه فكرة غيبية إلى مشهد حسّي شبه واقعي يهزّ وجدان السامع. كما أن ترتيب المشهد جاء متدرجًا؛ من ذكر الطعام إلى أثره في البطون، في تصعيد بلاغي يجعل العذاب متناميًا لا يمكن الفكاك منه (مسلم، 2005، ص 44).

إن الصورة تمثل نقلة من العذاب الخارجي إلى العذاب الداخلي المستقر في البطون، أي في أعمق نقطة في الجسد، فلا مجال للفرار. واختيار مصطلح ٱلْحَمِيمِ، وهو مصطلح قرآني خاص بماء جهنم، يجعل هذا المشهد مرتبطًا بسائر مشاهد العذاب القرآني، فيكتسب قوة تكثيفية تزيد من رهبة الخطاب. وهكذا يخدم النص مقصدا من مقاصد السورة الرئيسة: الإنذار بالمصير الأخروي للمكذبين، عبر نقل الغيب إلى لوحة حسية صادمة تُقصد بها زلزلة القلب وردع النفس.

- **الطرح إلى لُبّ العذاب ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 47]**

قالَ: خُذُوهُ أي خُذُوا الأثِيمَ، فاعْتِلُوهُ؛ قُرِئَ بِكَسْرِ التّاءِ. قالَ اللَّيْثُ: العَتْلُ أنْ تَأْخُذَ بِمَنكِبِ الرَّجُلِ فَتَجُرَّهُ إلَيْكَ وتَذْهَبُ بِهِ إلى حَبْسٍ أوْ مِحْنَةٍ، وأخَذَ فُلانٌ بِزِمامِ النّاقَةِ يَعْتِلُها، وذَلِكَ إذا قَبَضَ عَلى أصْلِ الزِّمامِ عِنْدَ الرَّأْسِ وقادَها قَوْدًا عَنِيفًا (الرازي، 1420: 664/27).

قولُهُ تَعالى: إلى سَواءِ الجَحِيمِ أيْ إلى وسَطِها. وهذا مَقولٌ لقَولٍ مَحذوفٍ دلَّ عليه السِّياقُ، أي: يُقالُ للزَّبانِيةِ مَلائِكةِ العَذابِ: خُذُوه، والضَّميرُ المُفرَدُ عائِدٌ إلى الأثيمِ باعتِبارِ آحادِ جِنسِه (ابن عاشور، د.ت: 315/25). وهنا تبرز قوة الإيقاع في الفاصلة؛ فالفعل خُذُوهُ مبني على حرفي حلق وصوت مضموم، يطرق السمع طرقًا قويًا حادًا، يظهر فعل القبض المفاجئ العنيف. ثم تأتي كلمة ﴿فاعْتِلُوهُ﴾، وهي بجرسها الطويل وثِقَل حروفها (العين واللام) ترسم صوت العنف في السحب والجرّ، حتى تكاد الكلمة بحد ذاتها تُحاكي المشهد.

والفاصلة ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ تنغلق على الحاء والجيم والميم، وهي أصوات عميقة مهيبة، فيختتم بها النص إيقاعًا يليق بمصيرٍ مرعب لا فكاك منه، يُلاحظ أن الأسلوب هنا انتقل من التشبيه السابق (كالمهل/كغلي الحميم) إلى الإنشاء بالأمر: خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ، وهو خطاب موجَّه للزبانية يشيع في النص قوة السلطان الإلهي وسطوة العقوبة. والجملة فعلية متتابعة الأفعال (خذوه - فاعتلوه) بما يفيد الحركة والسرعة والتوالي، مما يوحي بأن العذاب لا يحتمل تأخيرًا ولا مهلة.

أما اختيار لفظ سواء الجحيم بدلًا من مجرد "الجحيم"، فيوحي ببلوغ الغاية والوسط، أي أن العذاب سيكون في مركز النار حيث الحر أشد ما يكون. ثم يجيء هذا المشهد تصعيدًا بعد ذكر الطعام والغليان؛ فبعد أن استقر العذاب في البطون، انتقل النص إلى تصوير لحظة الإذلال الخارجي: يُسحب الأثيم جرًا عنيفًا حتى يُلقى في قلب الجحيم. وهنا يتضح أن المشهد القرآني يتدرج بالعذاب من الداخل (الأكل والغليان) إلى الخارج (السحب والطرح في وسط النار)، في بناء دلالي متكامل يضاعف رهبة الموقف ويكشف عن مصير لا مفر منه.

- **العذاب بالتهكم والسخرية ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]**

الفعل ذُقْ قصير حاد، يُختتم بالقاف الشديدة المجهورة فتُغلق الكلمة إغلاقًا صادمًا يطرق السمع بعنف، فيناسب مشهد الإهانة المباغتة. ثم تأتي الجملة إِنَّكَ أَنتَ بسلسلة من الهمزات المقطوعة المشددة، فتضاعف من حدّة النغمة، وكأنها

تقطع على الأثيم أي مجال للرد. أما الفاصلة ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ فتبدو للوهلة الأولى في جرسها الرنان وحروفها المجهورة القوية صيغة مدح، لكنها في السياق تهكم صارخ، فيتحول رنينها إلى صفعة ساخرة تقلب معاني العزة والكرم إلى ذلٍّ وهوان.

الأسلوب هنا يقوم على الأمر المستعمل في الإهانة؛ إذ يُقال للمجرم ذُق فيُجبر على تجرّع العذاب، ثم يُلقى في وجهه وصفٌ يُراد به عكس معناه. فالجملة خبرية لفظًا لكنها إنشائية معنى، وبلاغتها قائمة على علاقة التضاد؛ فالمراد: إنك لست عزيزًا كريمًا، بل ذليل مهان. وقد ذُكرت وجوه في سبب هذا التعبير: منها أنه قيل على سبيل الاستهزاء، ومنها أنه ردٌّ على تبجّح أبي جهل حين زعم أنه لا أعز ولا أكرم منه، ومنها أنه تذكير بأن اعتزازه لم يكن بالله، فصار إلى هذا المصير. والمشهد هنا يمثل الذروة في الإذلال (البغوي، 1997: 172/4، 173، والصابوني، 1997: 158/3، 159)؛ إذ لم يعد العذاب مجرد طعام أو غليان أو جرٍّ وصبٍّ، بل صار استهزاءً مباشرًا يواجه به المجرم أقواله السابقة وكبرياءه الزائف. وهكذا يغلق النص لوحة العذاب بإهانة لفظية توازي شدتها شدة العذاب الحسي، ليكتمل الردع في صورته المادية والمعنوية معًا.

- **العذاب كحقيقةٍ قاطعة ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ [الدخان: 50]**

يقول تعالى ذكره: يقال له: إنَّ هذا العذاب الذي تعذّب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تَشُكُّون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به، فقد لقيتموه، فذوقوه (الطبري، 2001: 63/21).

تأتي الآية كخاتمة مشهد العذاب، تحمل نغمة تقريرية حاسمة تقطع كل شك وتُنهي كل جدال. فاصلتها تَمۡتَرُونَ تُغلق المشهد بنون مشدودة ذات غنة ممتدة، فتترك في الأذن أثرًا قويًا يشبه ختمًا نهائيًا، وتُشعر السامع أن باب الجدل قد أُغلق إلى الأبد. والخبر مؤكد بإنَّ، ليتحول إلى حكم قطعي لا مجال لإنكاره. واختيار اسم الإشارة هَذَا يجعل العذاب حاضرًا محسوسًا أمام أعينهم، فيقلب ما كان عندهم غيبًا مشكوكًا فيه إلى واقع ملموس يباشرونه بأنفسهم.

المشهد هنا يُغلق الدائرة بإحكام؛ فقد بدأ السياق ببيان حالهم في أول السورة: بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ، وانتهى بتجسيد هذا الشك المتهكم في صورة مادية صارخة: إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ. وهكذا، فإن ما كانوا يزعمونه لعبًا وشكًا أصبح اليوم حقيقة ماثلة أمامهم وعذابًا واقعًا فيهم. بهذا تختتم فواصل الوعيد والعذاب بحكم نهائي جامع بين البيان والردع، تمهيدًا للانتقال إلى الوجه الآخر من المشهد: فواصل الرحمة والثواب.

وهكذا تتابعت فواصل العذاب في سورة الدخان لوحات متصاعدة من الإذلال حسًّا ومعنى، حتى أُغلق المشهد بالتهكم الذي يسحق كبرياء المكذّبين. وهنا ينتقل الخطاب من وعيدٍ يخلع القلوب إلى وعدٍ يفتح أبواب الرجاء، فيعرض فواصل الرحمة والثواب للمؤمنين.

المبحث الثالث: فواصل رحمة الله بالمؤمنين

في تحوّلٍ بياني يأسر القلوب، وبعد أن عرضت السورة مشاهد العذاب المروّعة التي تقشعر منها الأبدان، ينفتح الآن مشهدٌ مغاير تمامًا، مشهدٌ تتردّد فيه أصداء حالمة يملؤها الحنان، وهذه المقابلة البديعة بين الجحيم والنعيم، وبين الخوف والأمن، من أبلغ الأساليب القرآنية في ترسيخ المعنى في الوجدان. هنا تتغيّر نبرة الخطاب كليةً؛ فتنقلب الأصوات الشديدة العنيفة إلى أصوات رخوة لطيفة، وتتحوّل الإيقاعات القارعة إلى نغمات هادئة وادعة، وتغدو معاني الإهانة والعذاب معاني تكريم وثواب. وفي هذا السياق تصبح الفاصلة القرآنية الكلمة التي يكتمل بها مشهد الأمن والرضوان، تنتقل من أداة للترويع إلى نافذةٍ يطل منها المؤمن على جزائه الموعود.

- **النعيم كأساسٍ آمن ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾ [الدخان: 51]**

يُستهل مشهد النعيم، عبر استئناف ابتدائي ينتقل بالكلام من وعيد الأثيم إلى وعد المتقين، بتقرير الحقيقة

الجوهرية التي يقوم عليها كل نعيم: الأمن. وتأتي الفاصلة ﴿أَمِينٍ﴾ لتكون هي البؤرة التي تتكثف فيها هذه الدلالة صوتًا وبلاغةً، تتألف الفاصلة من أصوات رخوة ومجهورة تمنحها انسيابية ونعومة، وتبرز فيها الغنة المصاحبة لصوتي الميم والنون، وهي أصوات رنانة لطيفة تترك في النفس أثرًا من السكينة والطمأنينة، في مقابلة جلية مع الأصوات الحلقية الشديدة في فواصل العذاب.

كما أن المد بالياء يبطئ من إيقاع الفاصلة، مما يوحي بالاستقرار والخلود، على عكس الإيقاع المتقطع في مشاهد البطش. ويأتي التوكيد بإنَّ ليقرر حقيقة هذا الوعد بنفس قوة تقرير الوعيد السابق، ثم يأتي وصف المقام بأنه أَمِين وهو من باب المجاز العقلي، حيث أُسند الأمان للمكان والمقصود أهله، وفي هذا إيحاء بأن الأمن قد شمل المكان حتى صار صفة له، فهو مقام لا يخون ساكنه ولا يغدر به، بخلاف الدنيا المتقلبة. وهذا الإحكام الصوتي والبلاغي يخدم الدلالة للآية، فالنص يقرر أن أول نعيم المتقين وأساسه هو الأمن النفسي المطلق؛ فقبل وصف الجنات والعيون، يطمئن الله عباده بأنهم في مأمن من كل خوف أو فناء أو زوال، لأن الأمن هو الشرط الذي تُبنى عليه كل لذة، وهو أثمن ما يفتقده الخائفون في الجحيم.

- **النعيم كبيئةٍ متكاملة ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ [الدخان: 52]**

بعد تأسيس قاعدة الأمن، تنتقل الآية لوصف البيئة المادية لهذا المقام، فتأتي فاصلة ﴿وَعُيُونٖ﴾ لتضيف أبعادًا حسية وجمالية للصورة. صوتيًا، تناسب أصوات الفاصلة برقة ونعومة؛ فصوت العين المتوسط المجهور، مع الواو والياء وهما من حروف اللين، والغنة الممتدة في النون المنونة، كل ذلك يرسم جرسًا صوتيًا منبسطًا يوحي بالاتساع والتدفق والرخاء، كأنه يحاكي صوت خرير العيون في الجنان. وبلاغيًا، تأتي هذه الآية كبدل من مَقَامٍ أَمِين، لتفصل ما أُجمل في الآية السابقة، وتكرار حرف الجر فِي يفيد توكيد تمكنهم من هذا النعيم واستقرارهم فيه. كما أن تنكير كلمتي جَنَّٰت وَعُيُون يفيد التعظيم والتكثير، أي أنها ليست جنة واحدة أو عينًا واحدة، بل هي جنات وعيون تفوق التصور والوصف. وبهذا، يكتمل المعنى بالانتقال من الأمن النفسي إلى النعيم الحسي، فالآية ترسم لوحة مكانية مثالية، تجمع بين جمال البصر في الجنات، وحيوية السمع والحياة في العيون، لتشكل بيئة متكاملة من الجمال والرخاء، مهيأة لاستقبال أهلها المتقين (عبدالجليل، 1981، ص 341).

- **النعيم كتكريمٍ و أنسٍ اجتماعي ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: 53]**

بعد وصف المكان، ينتقل النظم القرآني إلى وصف حال أهله في أدق تفاصيلهم، ليبلغ بالصورة ذروتها في التكريم والأنس. صوتيًا، تتميز الفاصلة ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ بإيقاع موزون ومستقر، تتوازن فيه الأصوات الشديدة (القاف) مع الأصوات الرخوة والمتوسطة، وينتهي بالمد والنون (ين)، وهو ختام صوتي يمنح الكلام ثباتًا واستقرارًا موسيقيًا يناسب استقرار حال أهل الجنة. وبلاغيًا، فإن ذكر لباسهم من سُندُس وَإِسۡتَبۡرَق، وهو لباس الترف والملوك، هو كناية عن كمال نعيم أجسادهم وتوفر كل أسباب الرفاهية. ثم تأتي الفاصلة ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، وهي حال تصف هيئتهم، لتكون ذروة الإيجاز البديع؛ فهذه الكلمة الواحدة تغني عن ذكر اجتماعهم وتحابهم وصدق حديثهم، فـ"التقابل" ينفي التدابر، وهو كناية عن صفاء النفوس وخلو القلوب من الغل والحقد والحسد، مما يمثل الأنس التام في أرقى صوره.

وبهذا يكتمل المعنى بالانتقال من النعيم الفردي إلى النعيم الجماعي؛ فالجنة ليست مجرد مكان للاستمتاع الشخصي، بل هي مجتمع مثالي قائم على المحبة والألفة والتكريم المتبادل، في صورة تقابل تمامًا حالة أهل النار الذين يعيشون في عداوة وخصام، ليكتمل بذلك بناء الصورة المتكاملة للجزاء.

- **النعيم بكمال الصحبة والرزق ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: 54-55]**

يرتقي النظم القرآني بمشهد النعيم، ناقلًا المتلقي من الأنس الاجتماعي العام إلى كمال الصحبة وتمام الرزق، في بناءٍ لغوي يتناغم فيه الصوت والتركيب والدلالة. تتجلى الرقة في الوصف بِحُورٍ عِينٍ؛ فالصوتان الحلقيان، الحاء والعين، يمنحان الكلمات عمقًا واتساعًا، في حين تخلق المدود وحرف النون الأخير نغمًا عذبًا لطيفًا يناسب وصف الجمال الأثيري. ثم تأتي فاصلة ﴿ءَامِنِينَ﴾ لتكرر الجذر الصوتي لكلمة ﴿أَمِينٍ﴾ السابقة، محدثةً صدى صوتيًا ودلاليًا يرسخ الشعور بالطمأنينة المطلقة كنغمة أساسية للمشهد كله.

ويأتي قوله كَذَٰلِكَ كجملة اعتراضية للتقرير ولتأكيد عظمة ما سبق من النعيم. ثم يُستخدم الفعل وَزَوَّجۡنَٰهُم ككناية راقية عن الاقتران والمصاحبة، لا عن مجرد عقد الزواج الدنيوي. وفي وصف الرزق، تأتي عبارة يَدۡعُونَ فِيهَا لتشير إلى منتهى الرفاهية، فالدعاء هنا نوع من الأمر يدل على سرعة الإجابة وكمال التمكين، مع إيجاز بحذف جملة "فيستجاب لهم". أما كلمة ﴿بِكُلِّ﴾ فتفيد الإحاطة والشمول، أي كل صنف يمكن تخيله من الفاكهة. وتأتي فاصلة ﴿ءَامِنِينَ﴾ حالًا لتصف شعورهم أثناء التمتع، فتكتمل بذلك أبعاد الصورة، حيث ينتقل النص من وصف كمال الصحبة إلى وصف كمال الرزق، ويجمع كل ذلك تحت مظلة الأمان النفسي المطلق؛ فالمتعة هنا ليست كمتع الدنيا مشوبة بالخوف من النفاد أو الضرر، بل هي متعة آمنة ومستمرة.

- **النعيم بكمال الحياة والفوز الأعظم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الدخان: 56-57]**

يصل مشهد النعيم إلى ذروته هنا، بالانتقال من وصف المتع إلى تقرير حقيقة الوجود الخالد والفوز المطلق. صوتيًا وإيقاعيًا، يُحدث تكرار لفظ ٱلۡجَحِيمِ الذي ورد في سياق العذاب صدمة صوتية تُبرز قيمة النجاة منه، فصوته العنيف يأتي هنا في سياق الوقاية، فيعظم الإحساس بالرحمة. ثم تأتي الفاصلة الختامية ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ بجرس فخم ومهيب؛ فأصوات العين والظاء فيها أصوات مفخمة تملأ الفم، وإيقاعها بطيء ورصين كأنه إعلان ملكي بالنصر النهائي. وبلاغيًا، فإن نفي الموت بأسلوب لَا يَذُوقُونَ... إِلَّا هو من باب تأكيد الشيء بما يشبه ضده (ابن عاشور، د.ت: 315/25)؛ فالاستثناء هنا ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ تعليق على مستحيل، لأنه لا يمكن ذوق الموتة الماضية في المستقبل، فيكون الغرض منه المبالغة في تأكيد الخلود الأبدي. ثم يأتي قوله فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ، حيث إن ذكر "ربك" هو إظهار في مقام الإضمار لتشريف مقام النبي ﷺ. وتُختتم الآية بأسلوب التذييل والقصر البليغ في ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ، فاسم الإشارة ذَٰلِكَ لتعظيم المشار إليه، وضمير الفصل هُوَ يفيد القصر بمعنى الكمال، أي لا فوز يضاهي هذا الفوز. وبهذا، يكتمل المعنى، فالنعيم ليس مجرد جزاء، بل هو فضل إلهي، وهو ليس مجرد سعادة، بل هو الفوز المطلق الذي يجمع بين تحقيق كل المطالب (دخول الجنة) والنجاة من كل المخاوف (الخلود والوقاية من الجحيم) (سعد، د.ت، ص 26).

- **خاتمة السورة: عودة إلى محور الرسالة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ [الدخان: 58-59]**

تختم السورة بالعودة إلى نقطة البدء، وهو القرآن الكريم، في بناء بلاغي محكم يُعرف برد العجز على الصدر (ابن المعتز، 1990، ص 26). صوتيًا، تتميز آية التيسير بأصوات لينة ومنسابة (السين، الراء، النون، اللام)، تظهر معنى "اليُسر"، ثم يتحول الإيقاع إلى نبرة الترقب والانتظار في الفاصلة الأخيرة ﴿مُّرۡتَقِبُونَ﴾ بتكرارها الصوتي المشحون بالتوتر تأتي الفاء في فَإِنَّمَا للتفريع، لتلخص وتعلل كل ما سبق في السورة، فهي بمنزلة "فذلكة" للسورة. ثم يأتي القصر بـ(إنما) وهو قصر قلب يرد

على المشركين، ومفاده أن الحكمة الوحيدة من تيسير القرآن بلغتهم كانت لعلهم يتذكرون، ولكنهم لم يفعلوا. وتأتي الفاء في فَٱرۡتَقِبۡ فاءً فصيحة تفصح عن شرط محذوف تقديره: فإن لم يتذكروا فارتقب. ويكتمل المشهد بفاصلة ﴿مُّرۡتَقِبُونَ﴾ التي تعلل الأمر بالارتقاب، وفيها جناس بديع مع الفعل فَٱرۡتَقِبۡ. وبهذا تُختتم السورة كما بدأت، بالتركيز على الرسالة، وتترك المتلقي في حالة ترقب وانتظار؛ ترقب للنصر للمؤمنين، وترقب للعذاب للمكذبين، وهي الخاتمة التي تجمع كل خيوط السورة في نقطة واحدة جامعة.

النتائج:

من أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة ما يأتي:

- تنوع الفواصل في سورة الدخان جاء منسجمًا مع تنوع المقاطع الموضوعية للسورة؛ ففواصل التهديد اختلفت في جرسها وقوتها عن فواصل الوعد والثواب، بما يخدم المقصد البلاغي لكل مقطع.
- الفاصلة في مقاطع العذاب جسّدت الإيقاع الصادم والوقع الصوتي الحاد، من خلال حروف مفخمة أو حلقية أو شديدة (مثل: "الأثيم"، "الحميم"، "الجحيم")، مما يعمّق التأثير الانفعالي لدى المتلقي.
- الفاصلة في مشاهد النعيم تجلت في أصوات رخوة ومدود ناعمة ذات جرسٍ مطمئن، مثل: "أمين"، "عيون"، "آمنين"، مما يظهر السكينة والرحمة.
- التحام الفاصلة بالسياق المعنوي يؤكد وظيفتها الدلالية؛ إذ كثيرًا ما تؤدي الفاصلة وظيفة بلاغية (كالتوكيد، والإظهار في مقام الإضمار، والتضاد السياقي) تتجاوز حدود الإيقاع الظاهري.
- كشفت الدراسة عن ثراء الفاصلة في تمثيل الظواهر البلاغية؛ مثل الجناس، والتكرار، والتضاد، والتقديم والتأخير، مما يجعلها ركيزة من ركائز الإعجاز البياني في السورة.

وانطلاقًا من نتائج هذه الدراسة، يُوصى بما يلي:

- توسيع دائرة الدراسات التطبيقية لفواصل السور، خصوصًا السور التي تتسم بتنوع موضوعاتها كالقصص والجدال والوعد والوعيد، لتعميق فهمنا لبلاغة الفاصلة القرآنية.
- دعوة الباحثين إلى الربط بين المستويات الصوتية والدلالية والبلاغية عند تحليل الفواصل، بما يظهر التماسك النصي والبناء الإيقاعي في السور.
- تضمين تحليل الفاصلة في مناهج البلاغة القرآنية والتفسير البياني، لما تمثله من مدخل مهم لفهم الإعجاز اللغوي للقرآن.

المراجع:

الآلوسي، م. (1994). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار الكتب العلمية.

الباقلاني، أ. م. (1972). *إعجاز القرآن* (سيد أحمد صقر، تحقيق؛ ط3). دار المعارف.

بدوي، أ. (2005). *من بلاغة القرآن*، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

البغوي، م. (1997). *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي* (محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، تحقيق؛ ط.7). دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، ب. (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتب العلمية.

بوصبع، أ. (2021). جمالية التلقي الصوتي في الخطاب القرآني: الفاصلة القرآنية أنموذجا، *مجلة دراسات وأبحاث*، *13* (1)،

472–463.

الترمذي، م. (1975). *سنن الترمذي* (أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، تحقيق). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجرَمي، إ. (2001). *معجم علوم القرآن: علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات*، دار القلم.

الجويني، م. ا. (1971). نظر الجاحظ في فهم وذوق النص القرآني والحديثي، *مجلة اللغة العربية*، (27)، 152.

الحسناوي، م. (2000). *الفاصلة في القرآن*، دار عمار للنشر والتوزيع.

خضر، ا. (2009). *فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية دلالية* (ط.2). مكتبة الآداب.

الخطيب القزويني. (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*، منشورات دار الكتاب اللبناني.

الداني، ع. (1994). *البيان في عدّ آي القرآن* (غانم قدوري الحمد، تحقيق؛ ط.1). مركز المخطوطات والتراث.

الدرة، م. ع. ط. (2009). *تفسير القرآن وإعرابه وبيانه*، دار ابن كثير للطباعة.

ديب، م. ك. (2011). *المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورة الشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف* [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

الرازي، ف. (1420). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، دار إحياء التراث العربي.

الراوي، ب. ح. (2017). جمالية صوت الفاصلة القرآنية وعلاقتها بالمعنى، *مجلة كلية التربية للبنات*، *28*(3)، 834–845.

الرماني، ع. (1976). *النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن كتب رسائل في إعجاز القرآن)* (محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، تحقيق؛ ط.3). دار المعارف.

روستوفدوني، م. ج. (د.ت). *شرح ناظمة الزهر في عدّ الآيات وتعيين فواصل القرآن* (عمر سالم بن حسن المراغي النيجيري، تحقيق). دار الصحابة بطنطا.

الزركشي، ب. (1957). *البرهان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق؛ ط1). دار إحياء الكتب العربية.

سعد، م. ت. (د.ط). *شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية*، بدون بيانات.

السيوطي، ج. (1996). *الإتقان في علوم القرآن* (سعيد المندوب، تحقيق)، دار الفكر.

السيوطي، ع. (2002). *لباب النقول في أسباب النزول*، مؤسسة الكتب الثقافية.

الصابوني، م. (1997). *صفوة التفاسير*، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبري، م. (2001). *تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

ابن عاشور، م. ا. (د.ت). *التحرير والتنوير*، دار سحنون للنشر والتوزيع.

عباس، ف. ح. عباس، س. ف. (1991). *إعجاز القرآن الكريم*، دار الفرقان.

عبدالرحيم، ع. (1981). *لغة القرآن الكريم* (ط.1). مكتبة الرسالة الحديثة.

عبدالفتاح، ب. (1975). *اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي*، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

ابن عقيلة، م. (1427). *الزيادة والإحسان في علوم القرآن* (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبدالكريم السامدي، وخالد عبدالكريم اللاحم، تحقيق؛ ط.1)، مركز البحوث والدراسات في جامعة الشارقة.

العلوي، ي. (1423). *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز* (ط.1). المكتبة العصرية.

أبو علي، م. (1984). مناهج وآراء في لغة القرآن، دار الفكر.

الغزي، م. ك. (2017). جمالية الحجاج في القرآن الكريم: سور الحواميم أنموذجا، *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية*، (54)، 377–407.

ابن فارس أ. (1979). *مقاييس اللغة* (عبدالسلام محمد هارون، تحقيق)، دار الفكر.

القاسم، ع. (2012). *دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، تحقيق: حسن بن محمد عبدالعزيز*، دار التدمرية.

القاضي عياض، ع. (2013). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى* (عبده علي كوشك، تحقيق). جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

القرطبي، م. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، تحقيق؛ ط.2). دار الكتب المصرية.

القطان، م. (2000). *مباحث في علوم القرآن* (ط.3). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إ. (1999). *تفسير القرآن العظيم* (سامي بن محمد السلامة، تحقيق؛ ط.2). دار طيبة للنشر والتوزيع.

لاشين، ع. (1402). *من أسرار التعبير في القرآن: الفاصلة القرآنية*، دار المريخ.

المبارك، م. (1975). *فقه اللغة وخصائص العربية* (ط.6). دار الفكر.

مسلم، م. (2005). *مباحث في التفسير الموضوعي* (ط.4). دار القلم.

ابن المعتز، ع. (1990). *البديع في البديع* (ط.1). دار الجيل.

معلوف، ل. (1988). *المنجد في اللغة والأعلام* (ط.30). دار المشرق.

ابن منظور، م. (1414). *لسان العرب* (ط.3). دار صادر.

الموسوي، ف. ث. (2016). أثر الفاصلة القرآنية في التماسك النصي الصوتي في سور الحواميم السبع، *مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية*، *22*(95)، 113–128.

References

Al-Alusi, M. (1994). *Ruh al-ma'ani fi tafsir al-Qur'an al-'azim wa al-sab' al-mathani*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Baqillani, A. M. (1972). *I'jaz al-Qur'an* (S. A. Saqr, Ed.; 3rd ed.). Dar al-Ma'arif.

Badawi, A. (2005). *Min balaghat al-Qur'an*. Dar Nahdat Misr.

Al-Baghawi, M. (1997). *Ma'alim al-tanzil fi tafsir al-Qur'an = Tafsir al-Baghawi* (M. A. Al-Nimr, O. J. Dhumayriyya, & S. M. Al-Harsh, Eds.; 7th ed.). Dar Tayba.

Al-Biqa'i, B. (n.d.). *Nazm al-durr fi tanasub al-ayat wa al-suwar*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Bousab', A. (2021). The aesthetics of phonetic reception in Qur'anic discourse: The Qur'anic verse-end as a model. *Journal of Studies and Research*, 13(1), 463–472.

Al-Tirmidhi, M. (1975). *Sunan al-Tirmidhi* (A. M. Shakir, M. F. A. Al-Baqi, & I. A. 'Awad, Eds.). Maktabat Mustafa al-Babi al-Halabi.

Al-Jarmi, I. (2001). *Mu'jam 'ulum al-Qur'an: Qur'anic sciences, tafsir, tajwid, qira'at*. Dar al-Qalam.

Al-Juwayni, M. A. (1971). Al-Jahiz's view on the appreciation and understanding of Qur'anic and Hadith texts. *Journal of the Arabic Language*, (27)152.

Al-Hasnawi, M. (2000). *Al-fasila fi al-Qur'an*. Dar 'Ammar.

Khidr, I. (2009). *Fawasl al-ayat al-Qur'aniyya: A rhetorical semantic study* (2nd ed.). Maktabat al-Adab.

Al-Khatib al-Qazwini. (n.d.). *Al-Idah fi 'ulum al-balagha*. Dar al-Kitab al-Lubnani.

Al-Dani, A. (1994). *Al-bayan fi 'add ay al-Qur'an* (G. Q. Al-Hamad, Ed.; 1st ed.). Markaz al-Makhtutat wa al-Turath.

Al-Durra, M. A. T. (2009). *Tafsir al-Qur'an wa i'rabuhu wa bayanuhu*. Dar Ibn Kathir.

Deeb, M. K. (2011). The relationship between Qur'anic verse-endings and their verses: An applied study of Surahs al-Shura, al-Zukhruf, al-Dukhan, al-Jathiya, and al-Ahqaf [Unpublished master's thesis]. Faculty of Usul al-Din, Islamic University, Gaza.

Al-Razi, F. (2000/1420 AH). *Mafatih al-ghayb = al-Tafsir al-kabir*. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Rawi, B. H. (2017). The aesthetics of Qur'anic verse-end phonology and its relation to meaning. *Journal of the College of Education for Women*, 28(3), 834–845.

Al-Rummani, A. (1976). *Al-nukat fi i'jaz al-Qur'an* (M. Khalafallah & M. Z. Salam, Eds.; 3rd ed.). Dar al-Ma'arif.

Rostovdoni, M. J. (n.d.). *Sharh Nazimat al-zahr fi 'add al-ayat wa ta'yīn fawasl al-Qur'an* (O. S. Al-Maraghi, Ed.). Dar al-Sahaba, Tanta.

Al-Zarkashi, B. (1957). *Al-burhan fi 'ulum al-Qur'an* (M. A. Al-Fadl Ibrahim, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah.

Sa'd, M. T. (n.e.). *Shatharat al-dhahab: A study in Qur'anic rhetoric*.

Al-Suyuti, J. (1996). *Al-itqan fi 'ulum al-Qur'an* (S. Al-Mandub, Ed.). Dar al-Fikr.

Al-Suyuti, J. (2002). *Lubab al-nuqul fi asbab al-nuzul*. Mu'assasat al-Kutub al-Thaqafiyyah.

Al-Sabuni, M. (1997). *Safwat al-tafasir*. Dar al-Sabuni.

Al-Tabari, M. (2001). *Tafsir al-Tabari = Jami' al-bayan 'an ta'wil ay al-Qur'an* (A. A. Al-Turki, Ed.). Dar Hajr.

Ibn 'Ashur, M. A. (n.d.). *Al-tahrir wa al-tanwir*. Dar Sahnun.

Abbas, F. H., & Abbas, S. F. (1991). *I'jaz al-Qur'an al-karim*. Dar al-Furqan.

'Abd al-Rahim, A. (1981). *Lughat al-Qur'an al-karim* (1st ed.). Maktabat al-Risalah al-Hadithah.

'Abd al-Fattah, B. (1975). *Al-yusr sharh Nazimat al-zahr fi 'ilm al-fawasil li al-Imam al-Shatibi*. General Authority for Government Printing Affairs.

Ibn 'Aqila, M. (2006/1427 AH). *Al-ziyadah wa al-ihsan fi 'ulum al-Qur'an* (M. S. Haqqi, F. A. Al-'Andas, I. M. Al-Mahmud, M. A. Al-Samdi, & K. A. Al-Lahham, Eds.; 1st ed.). Center for Research and Studies, University of Sharjah.

Al-'Alawi, Y. (2002/1423 AH). *Al-Tiraz li-asrar al-balagha wa 'ulum haqa'iq al-i'jaz* (1st ed.). Al-Maktabah al-'Asriyyah.

Abu 'Ali, M. (1984). *Manahij wa ara' fi lughat al-Qur'an*. Dar al-Fikr.

Al-Ghuzzi, M. K. (2017). The aesthetics of argumentation in the Qur'an: The case of Surahs al-Hawamim. *Journal of the College of Islamic and Arabic Studies*, (54), 377–407.

Ibn Faris, A. (1979). *Maqayis al-lugha* (A. M. Harun, Ed.). Dar al-Fikr.

Al-Qasim, A. (2012). The significance of Qur'anic context and its impact on exegesis: A theoretical and applied study through al-Tabari's tafsir (H. M. Abdulaziz, Ed.). Dar al-Tadmuriyyah.

Al-Qadi 'Iyad, A. (2013). *Al-shifa bi-ta'rif huquq al-Mustafa* (A. A. Koshak, Ed.). Dubai International Holy Qur'an Award.

Al-Qurtubi, M. (1964). *Al-jami‘ li-ahkam al-Qur’an* (A. Al-Barduni & I. Atfayish, Eds.; 2nd ed.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Al-Qattan, M. (2000). *Mabahith fi ‘ulum al-Qur’an* (3rd ed.). Maktabat al-Ma‘arif.

Ibn Kathir, I. (1999). *Tafsir al-Qur’an al-‘azim* (S. M. Al-Salamah, Ed.; 2nd ed.). Dar Tayba.

Lashin, A. (1982/1402 AH). *Min asrar al-ta‘bir fi al-Qur’an: al-fasila al-Qur’aniyya*. Dar al-Murikh.

Al-Mubarak, M. (1975). *Fiqh al-lugha wa khasais al-‘arabiyya* (6th ed.). Dar al-Fikr.

Muslim, M. (2005). *Mabahith fi al-tafsir al-mawdhu‘i* (4th ed.). Dar al-Qalam.

Ibn al-Mu‘tazz, A. (1990). *Al-badi‘ fi al-badi‘* (1st ed.). Dar al-Jil.

Ma‘luf, L. (1988). *Al-munjid fi al-lugha wa al-a‘lam* (30th ed.). Dar al-Mashriq.

Ibn Manzur, M. (1993/1414 AH). *Lisan al-‘arab* (3rd ed.). Dar Sadir.

Al-Mousawi, F. T. (2016). The effect of Qur’anic verse-endings on phonological textual cohesion in the seven Hawamim surahs. *Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriyah University*, 22(95), 113–128.